

الفصل الثاني

الثقة المطلقة والأساس المتين

(٧) توكل

توكل على الله وخذ بالأسباب، واعلم أن الله قد جعل لكل شيء قدرًا، وأن التوكل هو عمل القلب، والسعي في الأسباب هو دور الجوارح .

إن الأزيمة التي تواجه كثيرًا من الناس اليوم أن البعض يدعي التوكل دون الأخذ بالأسباب والبعض الآخر يفكر بالأسباب دون التوكل الحقيقي على رب الأسباب ولا شك أن كليهما على خطأ.

لقد تأملت كثيرًا يا بني في قول الله ﷻ: (إن الصفا والمروة من شعائر الله)، وحاولت الاجتهاد في فهم حكمة المولى ﷺ من جعل قصة السيدة هاجر أم إسماعيل أحد الشعائر التي لا يصح الحج بدونها ليستحضر المسلمون في الحج والعمرة قصة السعي بين الصفا والمروة، ووجدت فيها بعض الدروس التي أثرت كثيرًا في تكوين شخصيتي.

لقد قام نبي الله إبراهيم باصطحاب زوجته هاجر وولده إسماعيل بوحي من الله ﷻ إلى مكان وصفه الخليل بدقة وهو يدعو ربه: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾ (سورة إبراهيم). ثم قرر تركهم هناك في موقف لا تستطيع النفس البشرية تقبله مهما كانت الحكمة منه، ولذلك فقد سألت أم إسماعيل عليهما السلام في دهشة وخوف من المجهول:

الله أمرك بهذا؟! فقال خليل الرحمن: نعم. فقالت هاجر عليها السلام في يقين رائع وتوكل منقطع النظير وخضوع كامل: إذاً لن يضيعنا.

وتركهم الخليل عائداً في أحد الاختبارات العسيرة التي نال بسببها هذه المكانة المتميزة عند رب البرية: (إن إبراهيم كان أمة)، وحصل على اللقب العظيم (واتخذ الله إبراهيم خليلاً).

**يضيع الناس بين
مفهومين خاطئين ...
متواكلون لا يعملون
وعاملون لا يتوكلون.**

وعندما نفذ الماء من السقاء، ونفذ الطعام من الجراب، وبدأ الطفل الصغير يصرخ من العطش وعلى الرغم من التوكل التام من هاجر عليها

السلام فإنها لم تلزم مكانها، بل إنها تحركت بسرعة نحو جبل الصفا تبحث عن الماء، فلم تجد، فأسرعت تهرول نحو المروة فلم تجد أيضاً!

لو أننا كنا مكانها لكنا لزمنا مكاننا انتظاراً للقدر المحتوم في يأس وخنوع، أما هاجر ومع توكلها فقد ذهبت تروح بينهما سبعة أشواط كاملة، وهي تعلم أن الله ﷻ لن يضيعهما، وبعد أن بذلت هاجر كل طاقتها تفضل الله عليها بتفجير زمزم في مكان مختلف عما كانت تبحث هي فيه.

تأمل معي يا بني لو أن المياه تفجرت في الصفا أو في المروة لكان هذا الحدث انتصاراً لأهل الأسباب ولضعفت قيمة التوكل على الله، ولو أن هاجر عليها السلام بقيت في مكانها استناداً إلى حسن التوكل على الله ولم تقم بالسعي الدعوى بين الصفا والمروة لكان هذا انتصاراً لأهل التوكل المزيف (التواكل).

أظن يا بني أن الصفا والمروة وتكرارها في الحج والعمرة هو الذي يشرح للناس المنهج بطريقة عملية لنعلم ماذا يعني التوكل على المسبب مع الأخذ بالأسباب؟ لتكون هذه الشعيرة تجديدًا دائمًا في كل عام في موسم الحج ومرات

عديدة في العمره لتحقيق التطور الرائع في حياة البشر إلى يوم القيامة من خلال فهم المعادلة المحكمه الآتية:

التوكل: هو اليقين في الله ﷻ (المسبب) وهو عمل القلب.

التواكل: هو ترك الأسباب وتوقف الجوارح عن السعي.

(٨) أحسن

أحسن الظن بالله فهو ﷺ يقول لك: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة". واسمع يا بني قول الشاعر:

وإني لأدعو الله حتى كأني أرى بجميل الظن ما الله صانع

وتذكر أيضاً ما قاله الحبيب ﷺ: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله". رواه مسلم.

يقول ابن القيم رحمه الله: فأكثر الخلق بل كلهم - إلا من شاء الله - يظنون بالله غير الحق ظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق، ونفسه تشهد عليه لذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك كامناً فيها.

راجع نفسك يا بني لتطمئن على حسن ظنك بربك لكي تفوز برضاه وترى آلاءه وعظمته في صفات جلاله وجماله، واقرأ أسماء الحسنى، وقف عند كل اسم منها، واسأل نفسك: هل أحسن الظن فيه أم لا؟؟!

إن معظم مشاكل الحياة عند الناس تأتي من سوء الظن بالله، فأحدهم يقول لك: إن فلانا يستطيع فعل كل شيء، وينسى أن الله ﷻ هو القادر والقاهر، وآخر يقول: إن فلانا لا يرحم ولا يدع رحمة ربه تنزل !! من هذا الذي يستطيع أن يمنع رحمة الله عن عباده وعباده؟؟!!

الكثير من الأمثال الشعبية التي نرددها دون فهم أو وعي أمثلة صارخة لسوء الظن بالله سبحانه، فقائل يقول: "يدي الحلق للي بلا أذنين!!". كيف يا بني نسأل الله تدبير أمورنا بخير ونحن نظن مثل هذا الظن السيئ؟؟!

وعندما يقول كثير من الجاهلين: ربنا افكره، فهذه إساءة أدب مع المولى ﷻ ؛ لأنه ﷻ يقول: (وما كان ربك نسياً) .

والخطير أن سوء الظن هذا يؤدي إلى مشاكل لا حصر لها مع صاحبها؛ لأن الله ﷻ يشبه الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، وكأن هناك دائرة كالسجن من سوء ظنهم تحيط بهم .

إن هؤلاء الحمقى الذين يعتقدون أو يرددون مثل هذه الأمثال هم الضحية الأولى

لها؛ لأنها مع تكرارها وثباتها تأخذ حيزاً كبيراً من عقولهم وقيمهم في الحياة، وتكون بعد ذلك تفسيراً لكثير من أحداث الحياة التي لا يستطيعون إدراك حكمتها، والتي لا يعلمها إلا الله ﷻ، ويتحولون دون وعي إلى أسرى في سجن دائرة سوء الظن بالله .

**من تمام المروءة أن تنسى
الحق لك، وتذكر الحق عليك،
وتستكبر الإساءة منك،
وتستصغرها من غيرك.
من أقوال العرب.**

إن الذين يظنون بالمستقبل سوءاً، ويملاً اليأس قلوبهم، وتفوح من كلماتهم رائحة الإحباط والسلبية وفقدان القدرة على الفعل، وتناسوا تماماً أن الله ﷻ (بالغ أمره)، وأنه (لا معقب لحكمه)، وأن أمره ﷻ بين الكاف والنون، لا يحتاج إلى أسباب، وإنما هذه الأسباب إنما وجدت لتنظيم حياة البشر

ووضعهم جميعاً تحت مظلة العدالة الدنيوية التي تعطى للمؤمن والكافر على حد سواء طالما أخذوا بالأسباب، ولكن هذا كله لا يعني سير الكون بشكل رتيب، فالله ﷻ يعطل السنن الكونية لحكمة لا يعلمها إلا ﷻ .

علينا يا بني العمل وفق قوانين السنن الكونية مع اليقين الكامل وحسن الظن بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا .

(٩) أنفق

أنفق في سبيل الله ولا تخش الفقر؛ فالله ﷻ يقول: (من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة) .

ويقول: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ^(١).

إن هذه يا بني هي التجارة التي لن تبور وليس فيها غبن أو خسارة .
لقد كان الحسن البصري إذا جاءه من يأخذ منه الصدقة فإنه يفرح به، ويستقبله أروع استقبال وهو يقول: أهلا بمن جاء إلي ليحمل عني زادي إلى يوم القيامة بغير أجره.

أنفق في كل وقت، ومد يد المساعدة للفقراء والمحتاجين، وتذكر الحديث القدسي الذي قال الله ﷻ فيه: "أنفق يا ابن آدم أنفق عليك" .

مهما كان الذي أنفقته فإن فضل الله ﷻ لا حدود له، وهو يأتي إليك في وقت انقطاع الرجاء من الأسباب .

¹ سورة البقرة .

وتذكر كذلك قوله ﷺ: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)^(١) وتذكر أيضا ما قاله الحبيب ﷺ: "ما نقص مال عبد من صدقة"، "وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة"، "وما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً".

لقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: "ماذا بقي منها؟". فقالت: ما بقي منها إلا كتفها، فقال: "بقيت كلها غير كتفها".

إن ما أنفقته في سبيل الله هو الباقي وهو الرصيد الذي تعتمد عليه في بلوغ أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة. وتذكر يا بني أن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وأن مداواة الأمراض والأسقام تبدأ من الصدقة، فإذا أحسست يوماً أنك مريض أو أحد ممن تحبهم فسارع قبل كل شيء إلى التصدق بنية الشفاء، ولا تسأل عن النتيجة ولا تتعجل استناداً على اليقين الكامل فيما قاله الحبيب الذي لا ينطق عن الهوى: "داووا مرضاكم بالصدقة".

وسوف أدلك يا بني على أفضل الصدقات لكي تكون لك أولوية في الإنفاق.

(١) سورة سبأ، آية ٣٩.

الأولى:

الصدقة الخفية ؛ لأنها أقرب إلى الإخلاص من الصدقة المعلنة، وفي ذلك يقول ﷺ: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)؛ لذلك فإن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنق من إظهارها وإعلانها.

الثانية:

الصدقة في حال الصحة والقوة أفضل من الوصية بعد الموت أو حال المرض والاحتضار كما في قوله ﷺ: "أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان كذا" .

الثالثة:

الصدقة التي تكون بعد أداء الواجب كما في قوله ﷺ: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) وقوله ﷺ: "لا صدقة إلا عن ظهر غنى" .

الرابعة:

بذل الإنسان ما يستطيعه ويطيقه مع القلة والحاجة؛ لقوله ﷺ: "أفضل الصدقة جهد المقل، وابدأ بمن تعول" .

الخامسة:

الإنفاق على الأولاد كما في قوله ﷺ: "إذا أنفق الرجل النفقة على أهله يحتسبها كانت له صدقة"، وقوله أيضاً: "أربعة دنانير: دينار أعطيته مسكيناً، ودينار أعطيته في رقبة، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الدينار الذي أنفقته على أهلك".

السادسة:

الصدقة على القريب.. كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه حديقة تسمى ببيرحاء، وكانت مستقبلية المسجد، وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: (لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وإن أحب أموالي إليّ ببيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عنده سبحانه، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال رسول الله: "بخ بخ مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيها، إني أرى أن تجعلها في الأقربين". فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

**نظن أحيانا أن الإنفاق يحتاج
إلى كثرة، ولكننا ننسى أن
قطرات المطر تصنع البحر، فلا
تستحي من إنفاق القليل
فالمنع أقل.**

وقال النبي ﷺ: "الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان ؛ صدقة وصلة" .

السابعة:

الصدقة على الجار؛ فقد أوصى بها الله ﷻ بقوله: (والجار ذي القربى والجار الجنب)..

الثامنة:

الصدقة الجارية: وهي ما يبقى بعد موت العبد، ويستمر أجره عليه لقوله: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " .

(١٠) حافظ

حافظ على الصلاة وإن ارتكبت بعض المعاصي وتأمل معي هذه القصة.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: كنت أسير في طريقي فإذا بلص قاطع طريق يسرق الناس، ورأيت نفس اللص يصلي في المسجد، فذهبت إليه وقلت: هذه المعاملة لا تليق بالمولى تبارك وتعالى، ولن يقبل الله منك هذه الصلاة وتلك أعمالك، فقال السارق: يا إمام، بيني وبين الله أبواب كثيرة مغلقة فأحببت أن أترك بابًا واحدًا مفتوحًا.

بعدها بأشهر قليلة ذهبت لأداء فريضة الحج، وفي أثناء طوافي رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة يقول: تبت إليك.. ارحمني.. لن أعود إلى معصيتك فتأملت هذا الأواه المنيب الذي يناجي ربه، فوجدته لص الأمس، فقلت في نفسي: ترك بابًا مفتوحًا ففتح الله له كل الأبواب .

إن الشيطان يا بني ينتظر هذه اللحظة فيقترب منك ناصحاً خبيثاً فيذكرك بمعصيتك، ويهمس إليك قائلاً: ألا تستحي من ربك فتقف أمامه ولم يزل ذنبك لم يجف بعد؟ فتشعر أنت بالاستحياء، وتبتعد عن الطاعة التي كنت مقدماً عليها فيكون بذلك قد سد رميته الأولى وأصابته، ثم يأتي إليك الثانية قائلاً: ما الفرق بين الذنب يرتكب مرة أو مرتين ؟ فيزين لك الذنب من جديد ويستمر معك، هكذا يدفعك إلى الذنب ويبعدك عن الطاعة بحجة الاستحياء من الله ﷻ .

إنني يا بني لا أبرر لك الذنب، ولكني أخشى عليك من استدراج الشيطان ليمنعك الاستغفار والتوبة، والله ﷻ يقول: (إن الحسنات يذهبن السيئات). ويقول النبي ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" .

وللعلماء كلام جميل في معنى الآية والحديث، وهو أن من أحد مقاصدهما أن الحسنات تمنع ارتكاب السيئات مجدداً وليس فقط محو آثارها .

وتذكر يا بني أن تكفير السيئات مشروط بعدم ارتكاب الكبائر كما يقول الله ﷻ: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً) .

ويقول النبي ﷺ: " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر " .

وإليك يا بني جزءاً مما قاله الشافعي رحمه الله:

ولما قسا قلبي وضاقَت مَذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك
ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منةً وتكرما
إليك إله الخلق ارفع رغبتني
وإن كنت يا ذا المن والجود مجرما
فلولاك لم يصمد لإبليس عابد
فكيف وقد أغوى صفيك آدمما .

(١١) هـيئ

هـيئ لنفسك مكانا في السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله، ذلك اليوم يا بني الذي يجعل الولدان شيباً، وترى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، حيث تدنو الشمس من رعوس الخلائق، ولا يكون هناك ظل يقي الناس من حرارة الشمس التي تذيب كل شيء إلا ظل عرش الرحمن، واسمع يا بني كلام سيد البشر رسول الله ﷺ وهو يقول: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...

- الإمام العادل
- وشاب نشأ في عبادة الله
- ورجل قلبه معلق بالمساجد
- ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه
- ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله
- ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
- ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

يا بني، إني وإن كنت لأرجو الله ﷻ أن أراك في كل هؤلاء السبعة إلا أنني أذكرك بالقاعدة الذهبية: (ما لا يدرك كله لا يترك كله)، فإن فاتك شيء من هؤلاء السبعة فاستمسك بالذي يليه، وما أسهل أن تكون من ضمن هؤلاء السبعة الذين يستظلون تحت عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .

إن المحبة في جلال الله كنز عظيم يخفى على كثيرين فلا تكن منهم، واسأل نفسك كل يوم هذا السؤال الهام، من هم أحبابي في جلال الله؟ ثم قم فوراً بالاتصال بأحدهم لتطمئن عليه وأبلغه أنك تحبه في الله، يقول النبي ﷺ: " إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله " .

وتذكر دائماً أن النبي ﷺ يقول: " يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " .

انظر يا بني إلى هذه المكانة الرائعة التي تتحقق للمتحابين في جلال الله، يقول النبي ﷺ: " إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم

لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس،
وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

ابداً أيضاً يا بني في هذه اللحظة فورا بالصدقة التي لا يعلمها أحد إلا رب العباد
سبحانه ، يقول الله ﷻ: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً)، وهذه
الآية كما يروي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه الذي كان لديه أربعة دراهم فتصدق بواحد منهم بالليل، وواحد
بالنهار، وثالث في السر، ورابع في العلن .

ويقول المولى أيضاً: (إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم). وقد ذكر جمهور المفسرين أن ذلك خاص
بصدقة التطوع التي يكون الإخفاء فيها خير من العلانية، وذلك يا بني ليس في
الصدقة فقط، ولكن في كل العبادات فالأفضلية في الفرائض تكون لأدائها علانية،
والأفضلية في التطوع أن يكون سرّاً .

(١٢) قم

قم الليل ولو بركعتين، وتذكر ما قاله النبي ﷺ: "أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس".

ويقول النبي ﷺ: "أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل"، ويقول أيضا: "أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الآخر".

إن فوائد قيام الليل لا تعد ولا تحصى في الدنيا والآخرة، واسمع لقول النبي ﷺ عن ذلك: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد".

وكان النبي ﷺ يقول عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل". فسمع عبد الله بن عمر ذلك فحافظ على قيام الليل.

إن قيام الليل من أعظم القربات لله ﷻ، وهو يحقق الخلوة التي يقول عنها شيخ الإسلام: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة، إنها يا بني الخلوة مع المولى سبحانه .

إن الأطفال يشعرون بالأمان عندما يكونون في حضرة والديهم؛ لأنهم يشكلون لهم منطقة الحماية من كل مكروه وسوء، فما بالك يا بني بالوقوف في الحضرة الإلهية في جوف الليل، هذا هو المفتاح السحري وحصن الأمان في الدنيا، ويقول العارفون: إننا في سعادة لو علمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف .

قرأت لك ما كانت تفعله العابدة الزاهدة رابعة العدوية التي كانت تقيم الليل، وتتشد في مناجاتها لله ﷻ:

فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين	وكل الذي فوق التراب تراب

وتقول في وصف الحب لله ﷻ:-

أحبك حبين حب الهوى	وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

إن قيام الليل يا بني من أشد الأمور على الشيطان، وتأكد أنه لن يدعك تتعم بذلك بسهولة، وسيفعل معك كل ما من شأنه منعك أو إبعادك عن قيام الليل، واسمع معي لهذه القصة اللطيفة .

يروى أن رجلاً ذهب إلى الإمام أبي حنيفة، وقال له: يا إمام، لقد فقدت كيس الذهب الخاص بي وأريدك أن تعطيني فتوى لأجد بها كيس الذهب، فقال الإمام أبو حنيفة: ما لهذا تكون الفتوى، ولكني أنصحك أن تقوم بالليل وتتوضأ فتحسن الوضوء، ثم تصلي ركعتين، فذهب الرجل وهو يسأل نفسه: ما علاقة الصلاة؟ ولماذا بالليل!!؟

ولأنه ليست هناك وسيلة أخرى ليجد بها كيس الذهب؛ ولأنها فكرة غير مكلفة ولا شاقة فقد قرر الرجل أن يفعل .

وفي اليوم التالي ذهب الرجل مرة أخرى إلى الإمام وهو بين تلاميذه يعلمهم الفقه وقال له: أشكرك يا إمام على نصيحتك الغالية بالأمس !! لقد وجدت كيس الذهب ! فقال الإمام متعجباً كيف ؟

قال الرجل: ما أن قمت بالليل وتوضأت وبدأت في الصلاة حتى جاءني هاتف يقول لي: أتذكر يوم كذا عندما وضعت كيس الذهب في مكان كذا، وظل الهاتف يذكرني بمكان الكيس، فخرجت من صلاتي مسرعاً وتتبع الهاتف حتى وجدت الكيس .

فقال الإمام للرجل: كنت أعلم أن الشيطان لن يدعك تختلي بربك !

إن كيس الذهب مهما غلا ثمنه لا يساوي شيئاً عند الشيطان، فلا مانع يا بني أن يدلك على ما ضاع منك مقايضة مع خروجك من صلاتك أو الوقوف بين يدي خالقك خاشعاً متضرعاً .

إن جميع الحلول للمشكلات الصعبة والأفكار المبتكرة تأتي للناس غالباً وهم يصلون؛ لأن الشيطان كلما شعر بدخول العبد في الصلاة واستغفاره وطمأنينته بين يدي مالك الملك قام سريعاً بعمل هذه الحيلة اللئيمة ومقايسة حلول المشكلات والأفكار بالخشوع في الصلاة فاحذر وانتبه إلى هذا الفخ الكبير .

أقدم إليك الآن يا بني بعض النصائح البسيطة التي تعينك على الشيطان في صلاتك

أولاً: استحضار هيبة الله تعالى من أول الرحلة.

* قبل أن تؤدي الصلاة فكر وأنت تسمع الأذان بأن ملك الملوك يدعوك للقائه في الصلاة ؟

* وأنت تتوضأ اسأل نفسك من الذي أستعد للقائه بعد لحظات ؟

* وأنت تتجه إلى المسجد تذكر أنك تجيب دعوة العظيم ذي العرش المجيد.

* وأنت تكبر تكبيرة الإحرام استعد للدخول في مناجاة ربك السميع العليم.

* وأنت تسجد ثق بأن أعظم وأجمل مكان يكون فيه الإنسان هو أن يكون قريباً من ربه الواحد الأحد في سجوده .

* وأنت تسلم في آخر الصلاة استشعر أنك تتحرق شوقاً للقائك القادم مع الرحمن الرحيم .

ثانياً: يجب عقد النية والتصميم على التركيز في الصلاة ليتقبلها الله سبحانه وتعالى، والاستعاذة من الشيطان، ولقد شكّا رجل لرسول الله ﷺ فقال: الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي .

قال رسول الله ﷺ: "إذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتقل على يسارك ثلاثاً " . قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

ثالثاً: إننا في حديث مع الله، فيجب ألا تؤدي الصلاة كمجرد مهمة، فعندما تقرأ سورة الفاتحة في الصلاة تشعر بأنك في حوار خاص بينك وبين خالقك ذي القوة المتين، فالصلاة مقسومة بينك وبين الله ﷻ .

رابعاً: استحضار المعنى

بإشراك القلب والعقل مع اللسان في تدبر كل كلمة والإحساس بها وبمعناها، قال الله تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون). ويساعد عليه النظر إلى موقع السجود.

خامسا: عدم النظر إلى السماء

قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"،
فاشتد قوله في ذلك حتى قال: "لينتهن أو لتخطفن أبصارهم".

سادسا: عدم الالتفات

فإن الاختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، فإذا صليت فلا تلتفتوا فإن الله
ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه.

سابعا: عدم التثاؤب

قال رسول الله ﷺ: "التثاؤب في الصلاة
من الشيطان"، عند التثاؤب يقبض
الفكين على بعضهما.

ثامنا: عدم التشكك

لا يتشكك من أي هاجس، فإذا تشكك
من أي شيء كصحة الوضوء أو عدد
الركعات استعاذ بالله من الشيطان
وأكمل الصلاة.

**إذا كانت السيارة تحتفظ
بجودتها إذا التزم صاحبها
بالصيانة الدورية في التوكيل
البشري، فكيف إذا قمنا بعمل
الصيانة لأنفسنا خمس مرات
في اليوم والليلة!!**

الشيخ الشعراوي

رحمه الله

تاسعا: التوسط في الصوت أثناء القراءة.

فيجب أن يسمع نفسه، قال الله تعالى في سورة الإسراء: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً)

عاشرا: إتقان الصلاة

* وذلك يكون بالتأني في أدائها وإعطاء كل ركن حقه وزيادة عدد التسبيحات في الركوع والسجود والدعاء عند السجود بتركيز في الرجاء في الله تعالى بإجابته .

* عند تذكر ما ننسى من أمور الدنيا أثناء الصلاة يجب عدم الالتفات إليها؛ لأن الله تعالى أقدر على تذكرنا إذا دعونا بذلك بعد الصلاة.

* وهذا من الجهاد الذي سماه الصحابة: الجهاد الأكبر، ويجب عدم اليأس والاستسلام للهزيمة بترك الصلاة والانقطاع عنها بحجة أنها تحملنا ذنوباً بدلا من الحسنات فهي حيلة أخرى من حيل الشيطان لتحقيق هدفه بإبعادنا عن الصلاة.